التعليل بالحمل على المعنى فى كتاب سيبويه

الدكتور محمد ابراهيم خليفة الشوشترى

أستاذ مشارک بجامعة الشهيد بهشتى

حسين پورمداح اردكانى

ماجستير فى اللغة العربية

(ازص ٦٩تاص ٨٤)

تاريخ دريافت مقاله ٨٩/٠٣/١١ پذيرش ٩٠/٠١/٢١

الملخّص:

بعد أن فرغ علماء النحو من جمع المادة اللغوية التى أرادوا تقعيدها من وسط شبه الجزيرة العربية، و بعد أن نسقوها و صنفوها تحت عناوين بارزة تستغرق جميع مناحى الكلام العربى و مرافقه، بعد القيام بكل تلک المراحل المنهجية اعتقدوا بوجود مرحلة منهجية أخرى أوجبوا على أنفسهم إنجازها و القيام بها، و هذه المرحلة هى عملية التعليل؛ فذكروا لكل ظاهرة من ظواهر اللغة، ولكل مسألة من مسائل النحو و الصرف علة لتساعد على سرعة الفهم و تسهيل عملية التعلم و التعليم. لكنهم لم يتزمتوا فى القول بحتمية العلل التى ذكروها. بل صرحوا باحتماليتها و عدم قطعيتها، و لقد اتصفت التعليلات التى وردت فى كتاب سيبويه بأنها نابعة من حس لغوى مستنبط من استعمالات كلامية مختلفة باختلاف المعانى و الأحوال الكلامية. وقد خصصت هذه المقالة لشرح أمثلة للتعليل بالحمل على المعنى منتخبة من كتاب سيبويه.

الكلمات المفتاحية: التعليل، الحمل على المعنى، سيبويه، الكتاب.

Archive of SID

www.SID.ir

المقدمة

تعريف العلة لغةً و اصطلاحاً:

العلة لغةً:

تأتی كلمة «علّة» فی المعاجم المختلفة (ابن منظور،ج۹، ص۳۶۷) فی ثلاث معان:۱. المرض۲. الحدث الذی يشغل صاحبه عن حاجته كأن تلك العلة صارت شغلاً ثانياً۳. السبب. فالمعنی الثالث هو المقصود ههنا حسب البحث، و علّل الشیء: بيّن علّته و أثبته بالدليل، تعلّل: أبدی الحجّه و تمسّك بها.

العلّة اصطلاحاً: أری من الضروری، أن أذكر العلّة فی اصطلاح الفقهاء و فی اصطلاح المتكلمين ثم فی اصطلاح النحويين، لتتضح أصالة العلّة النحوية.

۱. العلة عند الفقهاء، تشتمل علی العلامات و الامارات التی تكون أسباباً، لوصول الفقهاء إلی أحكام الأعمال التی ورد الأمر بإنجازها.

۲. العلة عند الكلاميين هی كل شیء يصدر عنه أمرٌ إمّا بالاستقلال أو لانضمام فإنّه علّة لذلك الأمر و الأمر معلول.

۳. العلة عند النحويين هی السبب النحوی الذی يحتجّ به النحاة، استناداً إلی كلام العرب، ليكون بياناً للدافع إلی التغييرات التی أجريت فيه علی اطار الطبع العربی السليم.

هذا ما قرّره ابن جنی فی الخصائص، حينما وازن العلة النحوية بالعلة الكلامية و الفقهية.(ابن جنی، الخصائص،ج۱، ص ۴۸).

و الواقع يشير إلی أنّ العلة النحوية، علة أصيلة مستقلة بعيدة عن علة المتفقهين و قريبة إلی علة المتكلمين و نقول بعبارة أخری، إنّه قد ثَبَتَ أنّ علل النحويين ليست من نوع علل الكلاميين، و لا هی من نوع علل الفقهاء، بل هی مستقلة خاصة بالنحو و أصيلة فيه و تحقيق ابن جنی يشير إلی أنها متأخرة عن العلل الكلامية و متقدمة عن العلل الفقهية، حينما يقول: «فأول ذلك أنا لسنا ندّعی أن علل أهل العربية فی سمت العلل الكلامية البتة، بل ندعی أنها آقرب اليها من العلل الفقهية»(نفسه، ج۱، ص۵۳) و يقول فی موضع آخر من كتابه: «و اعلم

Archive of SID

www.SID.ir

أننا مع ما شرحناه و عنينا به فأوضحناه من ترجيح علل النحو على علل الفقه، و الحاقها بعلل الكلام لا ندعى أنها تبلغ قدر علل المتكلمين و لا عليها براهين المهندسين».(نفسه، ج١، ص٨٧). لأنّنا إذا عملنا خلاف القياس النحوى فنصبنا الفاعل، و رفعنا المفعول، فاننا نستطيع النطق بذلك، و ليست العلة الكلامية هكذا. لأنّ العلّة الكلامية، تمنع الجمع بين السواد و البياض، فلا يجتمعان فى مكان واحد قطّ. و ادعاء اجتماعهما باطل؛ لأنه لا يتحقق فى الخارج، و أنّ احتجاج النحويين و الكلاميين، كليهما يدور فى مدار الثقل و الخفّة على النفس و محور اعتلالهم هو أحاسيسهم الصادقة و طباعهم المعبرة. و أما المتفقهون، فلا يميلون إلى الحسّ لصدور أحكامهم الشرعيّة التى تكون علاماتها مغموضة الجوانب لنا و وجه المصلحة فيها خفيّة عنّا، مثل وجوب فريضة الصلاة و عدد ركعاتها الذى يرجع إلى الأمر بإقامتها، و ليس هنا السبب الذى تستطيع النفس أن تعثر عليه، كما قرّره ابن جنى حينما قال: «و لست تجد شيئاً ممّا علّل به القوم وجوه الاعراب إلا و النفس تقبله و الحسّ منطوٍ على الاعتراف به، ألا ترى أنّ عوارض ما يوجد فى هذه اللغة شيءٌ سبق وقت الشرع و فزع فى التحاكم فيه إلى بديهة الطبع، فجميع علل النحو إذا مواطئة للطباع و علل الفقه لا ينقاد جميعها هذا الانقياد فهذا فرقٌ».(نفسه،ج١،ص٥١). و هناك أمثلة كثيرة، تؤيّد ذلك: فمثلا نراهم عللوا نصب المفعول بكثرة المفعول فى الكلام، ومعلوم أن هذه الكثرة توجد الثقل، لذلك أعطى المفعول الفتحة التى هى أخف الحركات كما عللوا رفع الفاعل بقلته فى الكلام، و لاشك أن القلة خفة، لذلك أعطى الفاعل الضمة التى هى أثقل الحركات، و ذلك ليحصل التعادل.

أمثلة منتخبة للتعليل بالحمل على المعنى فى الكتاب لسيبويه

***- علةّ تأنث الفعل، و ان كان ما يجرى عليه مذكّراً:**

قال سيبويه معللاً، تأنيث الفعل الذى فاعله مذكر مضاف الى مؤنث، بالحمل على المعنى، بشرط أن تستطيع حذف الاسم المذكر، دون أن يتغير معنى الكلام: «و ربّما قالوا فى بعض الكلام: (ذهبت بعض أصابعه) و إنّما أنّث البعض لأنه أضافه الى مؤنّث هو منه و لو لم يكن

www.SID.ir

منه لم يؤنثه لأنه لو قال: (ذهبَت عبدُ أمِّک لم يحسن)». (سيبويه،ج۱،ص۶۷). و قال فی موضعٍ آخر، مسوّغاً حذف (بعض) و كل مذكر مضاف الى مؤنثٍ و أنت تريد معناه: «و سمعنا من العرب من يقول ممن يوثق به : (اجتمعت أهل اليمامة). لأنه يقول فی كلامه (اجتمعت اليمامة) و يعنی (أهل اليمامة) فأنّث الفعل فی اللفظ إذ جعله فی اللفظ لليمامة فترک اللفظ يكون علی ما يكون عليه فی سعة الكلام».(نفسه، ج۱، ص۵۳). و قال السيرافی، شارحاً النصين السابقين: «اعلم أن المذكر الذی يضاف الى المؤنث على وجهين؛ أحدهما: تصحّ به العبارة عن معناه بلفظ المؤنث التی أضفته اليها لو أسقطته هو. و الآخر لا تصح العبارة عن معناه بلفظ المؤنث التی أضيف اليها. فأما ما يصح معناه لو أسقط بلفظ المؤنث، فقولک: (ذهبت بعضُ أصابعی)، و ذلک أنک لو أسقطت المذكَّر فقلت: (ذهبَت أصابعی) و أنت تريد ذلک المعنی لجاز. و أما ما لا تصحّ به العبارة عن معناه بلفظ المؤنث، فقولک «ذهب عبدُ أمّک» و لو قلت (ذهبَت عبدُ أمّک) لم يجز لانك لو قلت: (ذهبت امّك) لم يكن معناه معنی قولک: (ذهب عبدُ أمّك) كما كان معنی (اجتمعت اليمامة) كمعنی (اجتمع اهل اليمامة)»(السيرافی، ج۱، ص۳۱۳). و قال أيضاً، شارحاً تأنيث الألفاظ الجارية علي (من) و (ما) و تذكيرها عند العرب: «اعلم أن (من) و(ما) لهما لفظ و معنی، و الالفاظ الجارية عليهما يحق أن تكون محمولة علي لفظيهما و معناهما، فاذا جرت علي لفظهما، كان مذكراً موحداً، تقول: (من قام) سواء أردت واحداً، أو اثنين أو جماعة من مذكر و مؤنث. و يجوز أن تحمل الكلام علي معناهما فتقول: (من قامت) إذا أردت مؤنثاً...و أما قول العرب: (ما جاءَت حاجتك) فجعلوا (ما) مبتدأ و جعلوا فی (جاءت) ضمير (ما) و جعلوا ذلك الضمير اسم (جاءت) وجعلوا (حاجتك) خبر (جاءت) و أنّثوا (جاءت) لتأنيث معنی (ما) فكأنه قال: (أية حاجة جاءت حاجتك)». (السيرافی، ج۱، ص۳۰۹ و ۳۱۰).

الشرح: لقد علّل سيبويه، تأنيث الأفعال فی قول العرب: (ماجاءت حاجتك) و (مَن كانَت امّك) مع أنّ (ما) و(من) مذكران لفظاً، بأنّ (ما) و (من) اسمان مبهمان. لا يتعين تذكيرهما أو تأنيثهما إلا بما بعدهما مذكراً فانهما يعتبران مذكرين، و ان كان ما بعدهما مؤنثاً فيعتبران

www.SID.ir

مؤنثين. هذا هو الأصل وحد الكلام و قياسه. و علة تأنيث الفعل فى المثالين السابقين انما هو اعتبارهما (ما ومن) مؤنثين؛ لأنهما يعودان على مؤنث معنى. فـ (ما) تعود على (حاجة)، و(من) تعود على(أمّک)، و المهم أن علة التأنيث هى الحمل على المعنى. وإن شئت حملت على اللفظ، و ذكّرت (ما) و(من)، وقلت: (ما جاء حاجتک) و (من كان أمک). لأنّ العرب يحملون على المعنى تارة، و على اللفظ تارة أخرى وأنت المختار فى الحمل، على أيهما شئت. فاستدل سيبويه لجواز الحمل علي المعنى بالقولين السابقين، حينما ذكر أنّ معنى (ما) هو (الحاجة) بعينه، فحمل(ما) على معنى الحاجة و ان كان لفظها مذكراً لذلک جاء الفعل بعدها مؤنثاً، وكذلك تستطيع أن تؤنّث فعل كل مذكر تضيفه الى مؤنثٍ كان منه، حملاً علي معناه بشرط أن يصح المعنى مع حذف المذكر المضاف. و احتج أيضاً سيبويه لجواز تأنيث الفعل فى قولهم (اجتمعت أهل اليمامة) مع أنّ فاعله هو المذكّر لفظاً و ان أضيف الى المؤنث الذى يكون الفعل له معنىً، بقول جرير حينما ينشد: (من الوافر)

إذا بعضُ السّنينَ تعرَّقتْنا كَفَى الأيتام فَقدَ أبِى اليتيمِ

(جرير، ص٤١٢ والمبرد ج ٤ ص١٩٨ والبغدادى، ج٢، ص٧١، وابن يعيش، ج٥، ص٩٦ والزجاجى، ج٢، ص ٤٠٨ و ابن السيرافى، ج١، ص٤٣).

والشاهد فيه تأنيث الفعل (تعرقتنا)، لأنّ فاعله ضمير يعود الى (البعض) الذى اعتبر مؤنثاً لاضافته الى (السنين) المؤنثة، و لأن (بعض) ههنا السنون. فحمل (بعض) على معنى (السنين)، فأنث الفعل. فعلة تأنيث الفعل مع أنّ فاعله مذكر هى الحمل على المعنى.

مجيء بعض الألفاظ علي خلاف مطردها حملاً علي المعنى

إنّ العرب حرّكوا الكلمات و شكّلوها أحياناً، علي خلاف ظاهر الكلام و حينما تراها، تتوهم أنّ المتكّلم أو الشاعر، غلط فى الاستعمال و التشكيل. ولقد علّل سيبويه هذه الظاهرة اللغويّة، بأنهم حَمَلوا الكلمة علي معنى ماقبلها و موضعها لاعلي اللفظ المتقدم، تطابقاً له فى

www.SID.ir

الحركة والاعراب. فانّ هذا الحمل يقع فى موارد كثيرة و مواضع متعددة من كلامهم، إذ فسّرها سيبويه فى أبواب متفرقه من كتابه بالأمثلة و الشواهد اللازمة، وأذكر منها مايلى:

١- قال سيبويه معللاً، نصب الاسم المعطوف علي المعمول المجرور لاسم الفاعل بالحمل علي المعنى: «و تقول فى هذا الباب: (هذا ضاربُ زيدٍ و عمرو)، إذا أشركت بين الآخر و الأول فى الجارّ لأنه ليس فى العربية شيء يعمل فى حرف فيمتنع أن يشرك بينه و بين مثله وان شئت نصبت علي المعنى و تضمر له ناصباً فتقول: (هذا ضاربُ زيد وعمراً) كأنه قال: (ويضرب عمراً)».(سيبويه، ج١، ص١٦٩).

وقال السيرافى، موضحاً التعليل المتقدم: «قال: و تقول فى هذا الباب: (هذا ضاربُ زيدٍ و عمرو) علي العطف و الاشراك، و يجوز (ضاربُ زيدٍ وعمراً) علي معنى (و يضرب عمراً)؛ لأن (ضارباً) قد دلّ علي (يضرب) فحمله علي لمعنى». (السيرافى، ج٢، ص٢٧).

الشرح: إذا عطفت العرب شيئاً علي المعمول المجرور لأسماء الفاعلين المضافة العاملة، نصبوه. لأنّ المجرور ههنا فى موضع النصب مفعولاً. فمعنى الجرّ هو معنى النصب ههنا نحو قولهم: (هذا ضارب زيدٍ وعمراً). والأصل هو أن يكون (عمرو)، مجروراً إشراكاً بينه و بين المعطوف فى الجرّ، لأنّ المعطوف و المعطوف عليه كالشيء الواحد، و أنّ التطابق بينهما فى الاعراب أمر ضروريّ فى لغتهم. ولكنهم نصبوا المعطوف باضمار العامل الناصب الذى لايفسد تقديره المعنى، و لا يخلّ به، إذا أعملته فى الاسم الأول، حملاً علي معنى الاضافة و هو التنوين. لأنّ معنى اسم الفاعل المضاف هو معنى اسم الفاعل المنوّن بعينه، بناء علي المعاقبة و أنّ المعمول فى الحالتين فى موضع النصب و ان اختلفا فى الاعراب.

٢- و ذهب سيبويه الى أن العرب اذا عطفوا على الاسم المجرور بحرف الجر، عطفوه بالنصب و جعلوه معمولاً لفعل محذوف متعد بنفسه ملائم فى المعنى للفعل المذكور العامل فى الجار و المجرور المعطوف عليهما، و استشهد سيبويه مبّيناً هذا النوع من العطف على الموضع حملاً على المعنى بشواهد شعرية، منها قول جرير: (من البسيط)

جئْنى بمِثْلِ بنـى بَـدْرٍ لقومـِهِـم أوْ مِـثْلَ أُسـْرَةِ مَنْـظُورِ بنِ سَيَّـارِ

www.SID.ir

(لم أعثر عليه فى الديوان، و هو فى المبرد، ج٤، ص١٥٣و البغدادى، ج٢، ص٦٥ و ابن جنى، المحتسب، ج٢، ص٧٨ و ابن السيرافى ،ج١، ص٥٠ و النحاس، ص١٠٣).

و الشاهد فيه أنّ الشاعر عطف (مثل) علي (مثل بنى بدر) فى الشطر الأول، حملاً علي معنى المفعوليّة ونصبه باضمار فعل ملائم لمعنى الكلام، تقديره(هاتنى مثل). (سيبويه،ج١،هـ ص٦٣)

٣- احتجّ سيبويه مبيّناً الحمل علي المعنى بآى من آيات القرآن، قوله تعالى: «و لحمِ طَيرٍ ممّا يشتَهونَ و حُورٌ عِين» (سورة الواقعة/٢١) و القياس أن يكون (حور) مجروراً تطابقاً للمعطوف عليه (لحم) فى العطف، ولكنّ المعطوف انما ارتفع حملاً علي معنى الكلام السابق (لهم فيها لحمُ طيرٍ) تقديره (لهم فيها حورٌ عين). فاذا جعلت المعنى المقدّر مكان الجملة الأولى لكان مستقيماً، و هو ينوب عن معناها. (سيبويه، ج١، ص١٢٧)

٤ ـ قال سيبويه معلّلاً انتصاب المصدر التشبيهى علي خلاف القياس بالحمل على المعنى: «يدلك علي ذلك أن الرفع فى (هذا) و فى (عليه) أحسن لأنك إذا قلت: (هذا) و(عليه) فأنت لاتريد أن تقول مررت بهذه الأسماء تفعل فعلاً ولكنّك جعلت (عليه) موضعاً للنوح و هذا مبنى عليه نفسه، ولو نصبت كان وجهاً لأنه إذا قال: (هذا صوت) أو (هذا نوح) أو (عليه نوح) فقد علم أنّ مع النوح والصوت فاعلين فحمله علي المعنى». (سيبويه، ج١، ص٢٩٦).

الشرح: الأصل فى المصدر التشبيهى هو أن يكون مرفوعاً، إذا لم يكن قبله معنى دالٌّ علي الفعل الناصب له أو لم يكن مشتملاً علي الفاعل كما فى قولك: (عليه نوحُ نوحُ الحَمام). فلا تنصب (نوح الحمام) لأن الذى يكون عليه النوح لا يكون فعلاً للنوح، كما كان فاعلاً للصوت فى قولك: (له صوت صوتَ الحمار). فتنصب (صوت الحمار) لأن الضمير المتصل بحرف الجرّ (الهاء) هو الفاعل. وإذ لم تقصد أن الفعل قد وقع فى الكلام، وأنت نويت الاخبار عن هذه الجملة فحسب، فيلزمك أن ترفع المصدر، ولكنّ سيبويه علّل جواز نصب المصدر إذا لم يكن قبله فاعل، بأنّ المخاطب ينتبه الى أنّ مع النوح فاعلاً يبكى للحزن فينصبه المتكلم، حملاً علي المعنى الذى يدل عليه الكلام.

Archive of SID

www.SID.ir

۵ ـ قال سيبويه، موجّهاً قول عيسي: (أدخلوا الأول فالأول) بالرفع، بحمل الأمر للمخاطب علي معنى الأمر للغائب: «وكان عيسي يقول: (ادخلوا الأول فالأول) لأنّ معناه ليدخل فحمله علي المعنى» (سيبويه، ج۱، ص۳۹۸) و قال السيرافى، شارحاً النص السابق: «و حكي سيبويه: أن عيسي بن عمر كان يقول: (ادخلوا الأول فالأول) علي البدل من الواو (لأن معناه: ليدخل) الأول فالأول، و لم يجز ذلك سيبويه لأن لفظ الأمر للمواجهة، لايجوز أن يعرى من ضمير، و اذا أبدل الظاهر منه فكأنه لا ضمير فيه، ألا تري أنه لايجوز: (ادخلا الزيدان)، و(لا ادخلوا غلمان زيد)، فتبدل من ضمير الاثنين والجماعة المخاطبين لأنا لانقول: (ادخل غلمان زيد)، فاذا أبدلنا فقد أبطلت الواو» (السيرافى، ج۲، ص۲۸۹).

الشرح: إن بعض الصفات توضع أحوالاً إذا شبهت بالمصدر نحو قولهم: (ادخلوا الأول فالأول). و إن وجه الكلام وحدّه هو أن تكون (الأول فالأول)، منصوبة. و ما أجاز سيبويه أن تكون مرفوعة، إذا تقع بعد فعل الأمر للمخاطب فى قولهم: (ادخلوا الأول فالأول)، فلا ترفع (الأول فالأول) بدلاً من واو الضمير و لا تقول: (ادخلوا الأول فالأول) لأنّ فعل الأمر يؤتى به فى الجملة للمواجهة، و لا يجوز أن يجرّد من الضمير. فاذا تعرّي (أدخلوا) من ضمير الجماعة فلا يجوز أن تبدل منه(الأول فالأول). و لقد واجه سيبويه قول عيسي، حينما قال: (أدخلوا الأول فالأول) بالرفع بعد فعل الأمر للمخاطب علي خلاف القياس، و علّل هذا الأسلوب الشاذّ و حلّله حملاً علي المعنى، فذهب الى أن عيسي بن عمرحمل فعل الأمر للمخاطب علي معنى فعل الأمر للغائب إذا استعمل (ادخل) فى موضع (ليدخل). فكأنه أراد: (ليدخلوا الأول فالأول)، بناء علي أنّ العرب يبدلون الاسم الظاهر من الضمير فى فعل الأمر للغائب.

و يعتقد سيبويه ألا تكون (الأول فالأول) صفة للواو فى الكلام السابق كما تكون صفة لـ(القوم) فى قولهم: (قومك الأول فالأول أتونا). و لا تكون تأكيداً لما قبلها، كما يؤتى بـ (كلهم) فى كلامهم. فلذلك لا تكون مرفوعة، تابعاً للواو فى الاعراب نحو قولك: (ادخلوا الأول والآخر و الصغير و الكبير)، حينما تعطف الصفات بالواو و تجعلها توكيداً للواو، بناء علي أن معنى هذه

Archive of SID
www.SID.ir

الصفات هو معنى (كلهم) بعينه. كأنك تريد: (ليدخلوا كلهم) ولكنّ معنى (الأول فالأول) و (كلهم) مختلفان فى قولك: (أدخلوا الأول فالأول).

و أمّا الخليل، فيجيز رفع الأسماء التى تقع بعد فعل الأمر للمخاطب و ابدالها من ضمير الجماعة، توكيداً له إذا تجريها مجرى (كلكم). فلا تحمل معنى الخطاب علي الغائب نحو قولك: (أدخلوا الأول فالأول والأوسط والآخر) كأنك تريد: (ادخلوا كلّكم).(سيبويه، ج١، ص٣٩٩).

علّة انتصاب الاسم بعد الواو العاطفة وان لم يكن فعل ناصب قبلها.

قال سيبويه معللاً، نصب الأسماء بعد الواو، بالحمل علي معنى الفعل الناصب المقدّر: «و زعموا أن ناساً يقولون: (كيف أنت و زيداً) و (ما أنت و زيداً) و هو قليل فى كلام العرب ولم يحملوا الكلام علي (ما) و لا (كيف) ولكنهم حملوه علي الفعل علي شيء لو ظهر حتى يلفظوا به لم ينقض ما أرادوا من المعنى حين حملوا الكلام علي (ما) و(كيف)».(سيبويه، ج١، ص٣٠٣) وقال السيرافى، شارحاً النص السابق: «واذا قلت: (أنت وشأنك)، فلا يجوز فى الثانى غير الرفع؛ لأن العرب لاتضمر فى مثل هذا، و لا يجوز الاضمار فيه، و قوله: (أنت و شأنك)، انما يريد به الحال، فان حملته علي فعل فانما تحمله علي شيء ماض أو مستقبل لم يدلّ عليه دليل... و أنشد سيبويه ماقوّي به ماذكره من أنه يعطف علي شيء يقدّر و ان لم يلفظ به، و شيء يعطف علي (ما كان) يجوز استعماله فى موضع المعطوف عليه» (السيرافى، ج٢، ص٢٠٠-٢٠١).

الشرح: لقد واجه سيبويه نصب الاسم المعطوف علي الجملة التى لايكون فيها فعل ناصب فى أساليب فصيحة و أبيات شعريّة من لغة من يوثق بعربيّته. و علّل هذه الظاهرة النحويّة التى زعمها بعض العرب مع قلتها فى كلامهم، ولو كان الأصل و القياس هو أن ترفع المعطوف حملاً علي الابتداء أو المبتدأ (ما أنت، كيف أنت)، بأنّ العرب إذا استعملوا لفظاً فى موضع خاصٍ كثيراً، حذفوه اختصاراً فى اللغة، حينما حملوا الجملة علي معناه. كأنهم يتكلّمون به فى الجملة فى قولهم: (كيف أنت و زيداً)، فينصبون (زيداً) بـ(كان) المضمرة المحذوفة التى تستعمل بعد (كيف) كثيراً فى كلامهم، سواء أكان ماضياً أم مضارعاً (كان أو سيكون) مع أن القياس هو

Archive of SID
www.SID.ir

رفعه. فلا يجوز نصب (زيد)، حملاً علي (كان) المقدّرة إلاّ أنّ معنى النصب، حملاً علي الفعل هو معنى حمله علي المبتدأ بعينه. واستشهد سيبويه لنصب الاسم بعد الواو، حملاً علي معنى (كان) المضمرة بأبيات فمنها قول بعضهم: (من المتقارب)

فـما أنا والـسيرَ فـى مُتـْلَـفٍ يُـبَـرِّحُ بالـذَّكَـرِ الـضّابِـطِ

(ابن‌يعيش، ج۲، ص۵۲ و الشنقيطى، ج۱، ص۵۲۲ و ابن السيرافى، ج۱، ص۸۹ و النحاس، ص۱۲۶و الخليل بن‌احمد الفراهيدى، ص۱۷۰ برواية (فما أنا متلف والشرفى).

والشاهد فيه أنّ الشاعر أراد (ما أنا مع السير) وأضمر فعلاً كأنه قال: (مالى أكون مع السير؟) فلما حسن اضمار الفعل ههنا نصب. و أنّ الكلام يتضمّن علي معنى (كان)، لأنه قد تستعمل العرب (كان) المحذوفة كثيراً فى هذا الموضع وان كان الأصل هو رفعه، حملاً علي الابتداء.

و لم يجز سيبويه النصب فى (أنت و شأنك)، فهو يعلل رفعه، بأن العرب يخبرون بالحال التى استقر فيها المخاطب ولا يقصدون أن هذا الاخبار بحال المخاطب و صفته، وقع فيما مضي أو سيقع فى المستقبل حتى يستعملوا فعلاً فى هذا الموضع. فيجرون الاسم ههنا علي الابتداء، قال سيبويه: «وأمّا (أنت و شأنك) و (كل امرئ وضيعته) وأشباه ذلك فكله رفع لايكون فيه النصب لأنك انما تريد أن تخبر بالحال التى فيها المحدّث عنه فى حال حديثك فقلت: أنت الآن كذلك ولم ترد أن تجعل ذلك فىيما مضي ولافيما يستقبل و ليس موضعاً يستعمل فيه الفعل» (سيبويه، ج۱، ص۳۰۵). و ذكر أنّ ألف الاستفهام إذا دخلت علي الجملة، تقوّى نصب الاسم باضمار (كان). لأنها تدخل علي الفعل إذا كانت الواو للمعيّة. وفى الواقع، لقد شبّه سيبويه، حمل الاسم المنصوب علي معنى الفعل المضمر الناصب (كان) الذى كثر استعماله فى الموضع، بحمل العرب، الاسم المجرور علي خبر (ليس) المنصوب ظاهراً، حملاً علي الباء التى تستعمل وتقع كثيراً علي خبر ليس. وكذلك ينصب الشاعر أحياناً، الفعل دون أن يذكر (أن) الناصبة له، حملاً علي معناها الضرورة الشعرية لأنه حمل النصب علي معنى (أن) التى استعملها الشعراء فى هذا الموضع كثيراً. فاستدلّ سيبويه لذلك بقول عامر بن جوين الطائى: (من الطويل)

Archive of SID
www.SID.ir

فـلمْ أرَ مــثلَها خُـباسةَ واحِــدٍ ونَـهْنَهْتُ نفـسِى بعــدمــا كِـدْتُ أفعَلُهْ

(الزجاجى، ص۱۳۲ و ابن الانبارى، الانصاف، ص۵۶۱ و الشنقيطى، ج۱، ص۹۰ و ج۲، ص۳۰ و ابن عصفور،ج۱، ص۲۷۰ و ابن السيرافى، ج۱، ص۲۲۲).

و الشاهد فيه أن الشاعر نصب (أفعله)، حملاً علي معنى (أن)، متصوراً وجودها لأنه قد يستعمل (أن) ههنا كثيراً للضرورة الشعريّة.

و لقد علّل سيبويه، حذف الأفعال فى العبارات والجملات الفصيحة من كلام العرب الذى استعملوها كثيراً فى لغتهم فى حين ألا تكون أمثالاً عربية، ذاكراً الحجج التى سمعها الخليل من العرب تقوية لرأيه، بأنهم يحملون الفعل المحذوف علي معنى ماقبله و يضمرون الفعل المقدّر علي حسب معنى الفعل الذى قبله. و هو يدل علي تقديره فى الكلام فى قولهم: (انتهوا خيراً لكم) نساء ۱۷۱/۴ و(وراءك أوسع لك) أو (حسبك خيراً لك). و إنّ الخليل يعتقد أنّ المتكّلم، إذا يأمر المخاطب فى أول الكلام بترك شيء، يعلم المخاطب أنه يأمره أن يكفّ عن شيء و يأتى بشيء أخر و هو نقيضه، فيدخل من أمر الى أمر آخر و انّ العرب يقدّرون فعل الأمر الآخر الناصب للاسم، بناء علي معنى الاخراج عن أمر و الادخال فى أمر آخر. و لقد بيّن ذلك سيبويه بحمل الفعل المضمر علي معنى ماقبله، ذاكراً قول الخليل لاثبات رأيه: «وانما نصبت (خيراً لك و أوسع لك) لأنك حين قلت: (انته) فأنت تريد أن تخرجه من أمر و تدخله فى آخر و ادعى الخليل أنک تحمله على ذلک المعنى كأنك قلت: (انته) و (ادخل) حينما هو خير لك فنصبته لأنك قد عرفت أنك إذا قلت له: (انته) أنك تحمله علي أمر آخر فلذلك انتصب و حذفوا الفعل لكثرة استعمالهم ايّاه فى الكلام و لعلم المخاطب، أنه محمول علي أمر حين قال له: (انته). فصار بدلاً من قوله: (ائـتِ خيراً لك) و(ادخل حينما هو خير لك) و نظير ذلك من الكلام قوله: (انته يا فلان أمراً قاصداً). فانما قلت: (انته وأْتِ أمراً قاصداً) إلا أن هذا يجوز لك فيه اظهار الفعل لأنه قد كثر فى كلامهم حتى صار بمنزلة المثل فحذف كحذفهم (ما رأيت كاليوم رجلاً)»(سيبويه، ج۱، ص۲۸۳-۲۸۴)، واستشهد بأبيات شعرية لظاهرة الحمل علي معنى ماقبل الكلام والخروج عن أمر الى أمر آخر فمنها قول القطامى: (من الوافر)

Archive of SID

www.SID.ir

فَـكَّـرَتْ تـبـتغيه فـوافـقَتْه علـي دمـه ومـصـرَعِـهِ الـسِّباعـا

(القطـامی، ص۶۳ و البغـدادی، ج۳،ص۴۷۴و ابـن جنـی، الخـصائص،ج۲، ص۴۲۶ و الزجاجی،ج۲، ص۶۳۱ و النحاس، ص۱۱۷و ابن السیرافی، ج۱، ص۱۵).

و الشاهد فیه نصب (السباع) بالفعل المحذوف المضمر، حملاً علي معنی (وافقت) و انّ تقدیر المحذوف هو الفعل الظاهر بعینه لدلالة معناه علیه. کأنّ السباع قد دخل فی الموافقة وکأنـه هـو مفعول للظاهر الذی قد تضمّنه و اشتمل علیه.

و احتجّ سیبویه لحمل الفعل الناصب المقدّر علي ما قبله من الفعل الظاهر فی الکلام، بقـول الشاعر: (من البسیط)

إذا تـغَّـنی الحَمامُ الوُرْقُ هـيَجَـنی ولو تغـرَّبْـتُ عـنـها أُمَّ عَـمَّارِ

(النابغة الذبیانی، ص۵۱ و السلسیلی، ج۱، ص۴۳۹).

و الشاهد فیه أن الشاعر، نصب (أمّ عمار) بفعل مضمر تقدیره: (ذکّرنی)، کما ادّعـي ذلـك الخلیل. لأن (هیّجنی) یشیر الی (ذکّرنی)، بناء علي أن التهییج هـو التـذکر فی البیـت الـسابق، فیعرف المخاطب ذلك المعنی و ینتبه الی الفعل المضمر لدلالة الفعل الأول علیه.

ومثله فی حذف الفعل حملاً علي معنی الفعل الذی مضي ذکره فی الکلام، قول عبد بـنی عـبس حینما ینشد: (من الطویل)

قـد سالَمَ الـحیّاتِ مـنه القَـدَما الأفـعـوانَ والشّـجاعَ الشَّـجعَـما

(المبرد ج ۳ ص ۲۸۳ و ابن جنی، المنصف، ج۳، ص۶۹ و احمـد بـن عبـدالنور، ص۳۰۷ -۳۴۲ (و الشاهد فیه اضافة المیم فی الاخـر(الـشجعم) للتکـثیرو النحـاس، ص ۱۱۹و ابـن السیرافی،ج۱، ص۱۳۸).

و الشاهد فیه أن الشاعر نصب (الأفعوان) و(الشجاع)، حملاً علي معنی الفعل الذی قبلـهما (سالم) و هما من الحیات، فحقُّهما أن یرتفعا بدلاً منها ولکن المخاطب یعلـم أن بـاب (فاعـل) یکون بین الشخصین فکل واحد منهما، یفعل بصاحبه شیئاً و یحقّ کل منهما الفاعلیة والمفعولیة واذا قال الشاعر: (سالمت الحیات القدما) کأنه قال: (سالمت القدم الأفعوان والشجاع). فحـذف

www.SID.ir

الفعل الناصب لدلالة معنى الشطر الأول عليه و علي أن القدم يكون فاعلاً و الاسمان هما المنصوبان علي المفعولية.

و مثله انشاد بعض العرب لأوس بن حجر: (من الطويل)

تواهِقُ رجلاها يداها ورأسُه لها قَتَبٌ خَلْفَ الحقيبَةِ رادِفُ

(اوس بن حجر، ص٧٣ و المبرد، ج٣، ص٢٨٥ و ابن جنى، سر صناعة الاعراب، ج٢، ص٤٨٣ و النحاس، ص١١٩و ابن السيرافى، ج١، ص١٨٢).

و الشاهد فيه أن الشاعر، رفع الرجلين و اليدين لأن كل واحد منهما قد واهق الآخر. فهما الفاعلان ولو لا ذلك لنصبهما جميعاً، فاذا قال الشاعر: (تواهق رجلاها يديها)، كأنه قال: (تواهق يداها رجليها) لأن الفعل هو مفاعلة و يكون من اثنين.

و مثله فى الحمل علي المعنى، قول حارث بن نهيك حينما ينشد:(من الطويل)

لِيُبْكَ يزيدُ ضارعٌ لخصومَةٍ و مختَبِطٌ مما تُطيح الطوائِحُ

(المبرد ج٣ ص٢٧٧ و ٢٨٢و البغدادى،ج٣،ص٤٧٤ و ابن يعيش،ج١، ص٨٠ و ابن الانبارى، *البيان*، ج١، ص٣٢٧ و ج٢، ص١٩٦و٣٤٤ و عبد القاهر الجرجانى، ج١، ص٣٥٤).

و الشاهد فيه أن الشاعر جاء بالفاعل (ضارع) بعد الفعل المجهول الذى يكون (يزيد) نائباً لفاعله علي خلاف القياس المطرّد و الكلام الشائع بين العرب و أن وجه الكلام هو ألا يذكر الشاعر الفاعل الا بعد الفعل المعلوم ولكنّه حمل الفعل المجهول علي معنى الفعل المعلوم، كأنه قال: (ليبكه ضارع).

و احتجّ سيبويه أيضاً لمجيء الفاعل بعد الفعل الذى لم يسمّ فاعله، حملاً علي المعنى بآى القرآن علي قراءة بعضهم بالرفع فى قوله تعالى:«و كذلك زُيِّنَ لكثير من المشركين قتلُ أولادهم شركاؤُهم» (سورة الانعام،١٣٧). فارتفع (شركاؤهم)، حملاً علي معنى الفعل المعلوم و كأن قيل: (زيَّن شركاؤُهم قتلَ أولادهم). وكذلك إذا قال المتكلم (ألا رجل) و هو يخاطب شخصاً آخر، دلّ هذا القول علي دعائه و ابتهاله الى الله تعالى لوصوله الى المقصود. فتقدّر فعل الأمر الناصب

Archive of SID
www.SID.ir

لدلالة معنى (ألا رجل) عليه، مطابقاً لمعنى التمنى فى قولهم الذى نقله الخليل عن أبى عمرو: (ألا رجل امّا زيداً و امّا عمراً). فتنصب (زيداً و عمراً) باضمار فعل الأمر للدعاء تقديره: (اللهم اجعله أو وفّق لى). كما قال سيبويه: «و مثل ذلك أيضاً قول الخليل و هو قول أبى عمرو: (ألا رجل امّا زيداً و امّا عمراً لانه حين قال: (ألا رجل)، فهو متمنّ شيئاً يسأله، و يريده فكأنه قال: (اللهم اجعله زيداً أو عمراً أو وفّق لى زيداً أو عمراً»(سيبويه، ج۱، ص۲۸۶).

أهم النتائج التى توصل اليها البحث:

۱- أننا اطلعنا عن كثب على أنماط مختلفة من التعليل بالحمل على المعنى

۲- أنّ التعليل اللغوى، ظاهرة طبعية عرفها الانسان فى عصوره السابقة، فليس شيئاً جديداً.

۳- أن كلمة (علة) قد صارت مصطلحاً معروفاً عند النحاة منذ عصر سيبويه و قام عليها التقعيد النحوى، فاذا عللت النحاة ماسمعوه من العرب، فان عللهم لم تخرج عن طبيعة اللغة. فنستنتج مما علل به سيبويه من العلل و الأقيسة، أن التعليلات اللغوية جميعاً قد راعتها العرب فى دائرة لغتهم، لأن الخليل و سيبويه هما اللذان تعاملا مباشرة مع سلائق العرب و أذواقهم تعاملاً واضحاً، فانتقلت المصطلحات النحوية على يدىهما الى مصطلحات فنية علمية، يستعملها النحاة المحدثون.

۴- أن سيبويه، حرص على تأصيل اللغة العربية وتبيين قواعدها بعدم ذكر علل بعيدة عن طبيعة اللغة ولقد حاول أن يجد فى العلل التى ذكرها وجوه الحكمة. فالتعليل عنده هو تفسير الظواهر اللغوية و توجيه ماوراءها و شرح أسبابها عند العرب.

المصادر والمنابع:

ابن الانبارى، أبوالبركات، *البيان فى غريب اعراب القرآن*، منشورات دار الهجرة، قم.

ابن الانبارى، عبدالرحمن بن محمد، *الانصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين*، تح

ابن السيرافى، أبو محمد بن يوسف بن أبى سعيد، *شرح أبيات سيبويه*، تح محمد على الريح هاشم، مكتبة

ابن جنى، أبوالفتح، *الخصائص*، تح محمد على النجار، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان، ۱۹۱۳م.

ابن جنى، أبوالفتح، المنصف، شرح أبى الفتح لكتاب التصريف

ابن جنى، أبوالفتح، *المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها*، تح على النجدى الناصف و

ابن جنى، أبوالفتح، *سر صناعة الاعراب*، تح حسن الهنداوى، ط۱، دار القلم، دمشق، ۱۴۰۵هـ/۱۹۸۵.

Archive of SID
www.SID.ir

ابن عصفور، علی بن مؤمن، *المقرب*، تح أحمد عبدالستار الجواری وعبدالله الجبوری، ط۱، مطبعة العانی، بغداد۱۳۹۱هـ/۱۹۷۱م.
ابن منظور، *لسان العرب*، تح محمد عبدالوهاب ومحمدالصادق العبییدی، ط۳، دار احیاء التراث العربی، بیروت، لبنان، ۱۴۱۹هـ/۱۹۹۹م.
ابن یعیش النحوی، موفق الدین یعیش بن علی، *شرح المفصل*، ط۱، منشورات ناصرخسرو، طهران.
الاشبیلی، أبوعصفور، *شرح جمل الزجاجی*، تح الدکتور صاحب أبونجاح، ط۱، عالم الکتب، بیروت، لبنان، ۱۴۱۹هـ/۱۹۹۹م.
اوس بن‌حجر، *دیوان*، تح الدکتور محمد یوسف النجم، بیروت، ۱۴۰۶هـ/۱۹۸۶م.
البغدادی، محمد بن سهل النحوی، *الأصول فی النحو*، تح عبدالحسین الفتلی، ط ۳، مؤسسة الرسالة، بیروت، تط(۱۴۰۸هـ/۱۹۸۸م).
الجرجانی، عبدالقاهر، *المقتصد فی شرح الایضاح*، تح الدکتور بحرالمرجان، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، الجمهوریة العراقیة، دار الرشید، ۱۹۸۲م.
جریر، دیوان، دار بیروت للطباعة والنشر، ۱۴۰۶هـ/۱۹۸۶م.
الذبیانی النابغة، *دیوان*، تح کرم البستانی، بیروت، ۱۴۰۶هـ/۱۹۸۶م.
السلسیلی، محمد بن عیسی، *شفاء العلیل فی ایضاح التسهیل*، تح الدکتور علی البرکاتی، ط۱، بیروت، لبنان، ۱۴۰۶هـ/۱۹۸۶م.
سیبویه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، *الکتاب*، تح عبدالسلام هارون، ط۲، الهیئة المصریة العامة للکتاب، ۱۹۷۷م.
السیرافی، أبوسعید، *شرح کتاب سیبویه*، تح أحمدحسن مهدلی و علی سیدعلی، ط۱، دارالکتب العلمیة بیروت، لبنان، ۱۴۲۹هـ/۲۰۰۸م.
محیی‌الدین عبدالحمید، ط۱، تط،۱۳۸۰هـ/۱۹۶۱م.
الکلیات الأزهریة، دار الفکر، القاهرة، ۱۳۹۴هـ/۱۹۷۴.
عبدالحلیم النجار و اسماعیل الشلبی، المجلس الاعلی للشؤون الاسلامیة، القاهرة، ۱۳۸۶هـ/۱۹۶۶م.
ابن جنی، أبوالفتح، المنصف، ، شرکة مکتبة ومطبعة مصطفی البابی الحلبی، القاهرة.
الشنقیطی، أحمد بن الأمین، شرح *الدرر اللوامع علی همع الهوامع*، تح أحمد السید أحمد علی، دار العلوم، جامعة القاهرة.
الفراهیدی، الخلیل بن أحمد، *الجمل فی النحو*، تح فخر الدین قباوة، ط۱، مطبعة أمیر، طهران.
القطامی، *دیوان*، تح الدکتور ابراهیم السامرائی، أحمد مطلوب، ط۱، دار الثقافة، بیروت، ۱۹۶۰م.
المالقی، أحمد بن عبدالنور، *رصف المبانی فی شرح حروف المعانی*، تح أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربیة، دمشق.
المبرد، أبوالعباس محمد بن یزید، *المقتضب*، تح محمد عبدالخالق عصیمة، عالم الکتب، بیروت، لبنان.
النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، *شرح أبیات سیبویه*، تح زهیر غازی زاهد، ط۱، کلیة الاداب، جامعة البصرة، ۱۹۷۴م.

Archive of SID
www.SID.ir

چکیدهٔ فارسی:

علمای نحو بعد از جمع‌آوری کاربردهای مختلف زبان عربی از وسط شبه جزیرةالعرب و مرتب کردن آنها تحت عنوانهایی آشکار که تمامی زوایا و اصول زبانی را در بر می‌گیرد، به قاعده‌مند کردن زبان عربی پرداختند. و بعد از طی مراحل قانون‌مندی بر خودشان واجب دانستند که به ایجاد مرحله اصولی دیگری همت بگمارند، و آن مرحله، عمل علت‌شناسی بود. و در پی آن برای هر پدیده‌ای از پدیده‌های زبان و هر مساله‌ای از مسائل علم نحو و صرف علتی ذکر کردند تا فهم مطالب آسان شود، و در واقع تعلم و تعلیم زبان عربی آسان شود. ولی با این وجود، آنها به عدم قطعیت و حتمی بودن علت‌های یافت‌شده اعتقاد داشتند و تمام علتهایی که در کتاب سیبویه با آنها قواعد نحوی علت‌یابی شده، برخاسته از ادبیات عربی است واز کاربرد های زبانی مختلف با معانی و حالات زبانی مختلف استنباط شده است. و این مقاله به شرح مثالهایی از علت‌شناسی سیبویه در *الکتاب* بر اساس حمل کردن کاربردها بر معنای آنها می‌پردازد.

واژه‌های کلیدی: علت‌شناسی، حمل کردن بر معنا، سیبویه.

Archive of SID

www.SID.ir